Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونقرأ قولـه « وما أظن بك إلا أنك كنـت حقيقا أن تجتوى هذا الطعـام ، وترتد شهوتك عنـه لو اطلعت على الحقيقة» فيكون بـوسعنا أن نقبل تراكيبـه الاستثنائية ونفهم مدلول بعض مفرداته الشـاردة من السياق الكلى ، وإن كنا لا نزال نستشعر فيه شيئا من الغرابة التى تجعله مخالفا لما نألفه اليوم فى الأساليب السردية كما استوت فى الكتابـة منذ منتصـف القرن حتى الآن ، على يـد جماعة مـن الروائيين الـذين لم يتمرسـوا بتدريس اللغـة العربية ومحاولـة استثمار ثروتها المعجمية والنـزوع إلى بعث روحها فى كتابتهـم ، فقد كانت لديهم أشواق فنيـة وأبعاد فكرية أشد طمـوحا من ذلك .

ولكن المدهـش فى أسلوب المازنى ـ الموصول بطبيعة المفارقـة عنده ـ أنـه لايقع بكامله فى هذه المنطقة الإحيائية ، حيث يطفو على سطحه مخزون الآثار القديمة ، بل نشهـد فيه حركـة مضادة تقفز إلى أكثـر المناطق حيـوية وجرأة فى لغـة الخطاب اليومـى ، وذلك فى بعض المواقف المتوتـرة التى ينكمـش فيها الهدف الثقـافى من الكتابة بمعناه الكلاسيكى ليحتـل بؤرة الاهتمام الهدف الفنى التصويرى . ولنسمع الأم فى هذه الرواية وهى تجادل العم مدافعة عـن ابنها وضائقة برغبته فى تأديبه . فى الوقت الذى تحنو فيه عليه وتواسيه من أوجاعه ، فتصيح بالعم الثرثار قائلة :

« يا أخى ، أنا فى عرض النبى اسكت »

ولايقترف الكاتب جرما فى تثقيف هذه الصيغة ، بل تظل فلذة ساخنة من قلب الحياة اليومية مغروسة فى سياق السرد الذى يتفصـح بأسلوبه . على أن لمسة حوارية تجمع فى طياتها بين هذيـن اللونين من المادة اللغوية لا تلبث أن تتجلى أمـامنا عن مفارقة اللغة وهى تعكس مفارقة الحياة .

ففى حـوار بين الصبى ومـربيته الجميلـة تحكى فيـه عن رجـل تقدم لخطبتهـا واشترط عليها أن تجيد الموسيقى والرقص ، فيرد عليها الطفل قائلا :

ـ أراه رجلا يعرف من أين تؤكل الكتف كما يقولون

فتجيبه الفتاة : كتف ؟ كتف إيه